



## 123973 - سائل يقول : لماذا خلق الله الخلق وهو يعلم مصيرهم في الجنة أو النار ؟!

### السؤال

لدي سؤال أتمنى منكم الإجابة عليه ، وجزاكم الله خيراً ، إذا كان الله سبحانه يعلم الغيب ، ويعلم ماذا سي فعل الناس ، ويعلم من سيذهب إلى النار ، أو إلى الجنة - حيث إن الله سبحانه سبق كل شيء - فلماذا خلقنا إذن ؟ ولماذا أنزل الله إبليس إلى الأرض مع آدم و حواء ، مع العلم أن التوبة لن تنفعه وأنه حكم عليه بجهنم ؟

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

إن معرفة الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق فيها الجواب عن كثير من الإشكالات والشبهات التي يردها كثير من الملحدين ، وقد يتاثر بها بعض المسلمين ، ومن تلك الشبهات الظن بأن الله تعالى خلق الناس من أجل أن يضع بعضهم في الجنة ، وأخرين في النار ! وهذا ظن خطأ ، وما من أجل ذلك خلق الله الخلق ، وأوجدهم .

وليعلم الأخ السائل - ومن رام معرفة الحق - أن الغاية من خلق الإنسان ، وخلق السموات ، والأرض : ليعرف سبحانه وتعالى ، ويوحد ، ويطاع .

قال تعالى : ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ) الذاريات / 56 .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

أي : إنما خلق لهم لآمرهم بعبادتي ، لا لاحتياجي إليهم .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ( إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ) أي : إِلَّا ليقرروا بعبادتي طوعاً ، أو كرهاً .

وهذا اختيار ابن جرير .

" تفسير ابن كثير " ( 4 / 239 ) .

وتحمة خلط عند كثريين بين الغاية المراده من العباد ، وهي : شرعه الذي أحبه منهم ، وأمرهم به ، والغاية المراده بالعباد ، وهي إثابة المطيع ، ومعاقبة العاصي ، وهذا من قدره الكائن الذي لا يرد ولا يبدل .



قال ابن القيم - رحمة الله - :

وأما الحق الذي هو غاية خلقها - أي : السموات والأرض وما بينهما - : فهو غاية تُراد من العباد ، وغاية تراد بهم .

فالتي تُراد منهم : أن يعرفوا الله تعالى ، وصفات كماله عز وجل ، وأن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً ، فيكون هو وحده إلههم ، ومعبودهم ، ومطاعهم ، ومحبوبهم ، قال تعالى : ( الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثنين يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قادر وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ) .

فأخبر أنه خلق العالم ليعرف عباده كمال قدرته ، وإحاطة علمه ، وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده .

وقال تعالى ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ) ، فهذه الغاية هي المرادة من العباد ، وهي أن يعرفوا ربهم ، ويعبدوه وحده .

وأما الغاية المرادة بهم : فهي الجزاء بالعدل ، والفضل ، والثواب ، والعقاب ، قال تعالى ( ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ) النجم/ 31 ، قال تعالى ( إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ) طه/ 15 ، وقال تعالى ( ليبين لهم الذي يختلفون فيه ولعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ) النحل/ 39 ، قال تعالى ( إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلك ربكم فاعبدوه أفلأ تذكرون إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميّم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ) يونس/ 3 ، 4 .

" بدائع الفوائد " ( 971 / 4 ) .

وللمزيد من معرفة الحكمة من خلق البشر : نرجو النظر جواب السؤال رقم ( 45529 ) .

ثانياً:

إن الله تعالى لا يدخل الناس الجنة أو النار ، لمجرد أنه يعلم أنهم يستحقون ذلك ؛ بل يدخلهم الجنة والنار بأعمالهم التي قاموا بها - فعلاً - في دنياهم ، ولو أن الله تعالى خلق خلقاً وأدخلهم ناره : لأوشك أن يحتجوا على الله بأنه لم يخبرهم ، ولم يجعل لهم مجالاً للعمل ، وهذه حجة أراد الله تعالى دحضها ؛ فخلقهم في الدنيا ، ورَكِبَ لهم عقولاً ، وأنزل كتابه ، وأرسل رسليه ، وكل ذلك لئلا يكون لهؤلاء حجة على الله يوم القيمة .

قال تعالى : ( رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ) النساء/ 165 .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمة الله - :

فصرح في هذه الآية الكريمة : بأن لا بد أن يقطع حجة كل أحد بإرسال الرسل ، مبشرٍ من أطاعهم بالجنة ، ومنذرين من عصاهم النار .

وهذه الحجة التي أوضح هنا قطعها بإرسال الرسل مبشرٍ ومنتذرين : بينها في آخر سورة طه بقوله ( وَلَوْ أَنَا أَهْلُكَنَاهُ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبَعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَ وَنَخْرَى ) ، وأشار لها في سورة القصص بقوله : ( وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبَعَ آيَاتِكَ وَكَنْتُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) ، قوله جل وعلا : ( ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ) ، قوله : ( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا بِيَنِّ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ) ، وقوله : ( وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنِ الدِّرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَا أَنْزَلْتُ عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ) ، إلى غير ذلك من الآيات .

ويوضح ما دلت عليه هذه الآيات المذكورة وأمثالها في القرآن العظيم من أن الله جل وعلا لا يعذب أحداً إلا بعد الإنذار والإعدار على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام : تصريحه جل وعلا في آيات كثيرة : بأنه لم يدخل أحداً النار إلا بعد الإنذار والإعدار على ألسنة الرسل ، فمن ذلك قوله جل وعلا : ( كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَالَّهُمْ خَرَنَتْهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ) .

ومعلوم أن قوله جل وعلا : ( كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ ) يعم جميع الأفواج الملقين في النار .

قال أبو حيان في " البحر المحيط " في تفسير هذه الآية التي نحن بصددها ما نصه : و ( كُلُّمَا ) تدل على عموم أزمان الإلقاء ، فتعتمد الملقين .

ومن ذلك قوله جل وعلا : ( وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمِراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَنَتْهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَنْذُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءً يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلْمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ) ، قوله في هذه الآية : ( وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ) عام لجميع الكفار ... .

فقوله تعالى : ( وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمِراً ) إلى قوله ( قَالُوا بَلَى ) : عام في جميع الكفار ، وهو ظاهر في أن جميع أهل النار قد أنذرتهم الرسل في دار الدنيا ، فعصوا أمر ربهم ، كما هو واضح .

" أضواء البيان " ( 66 / 3 ) .

وفي اعتقادنا أن معرفة الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها ، ومعرفة أن الله تعالى لا يعذب أحداً وفق ما يعلم منه سبحانه ، بل جزاء أعماله في الدنيا ، وأن في هذا قطعاً لحجته عند الله : يكون بذلك الجواب عن الإشكال الوارد في السؤال .



ثالثاً:

وأما لماذا أنزل إبليس إلى الأرض ، مع آدم وذريته ، ففرق بين نزول آدم ونزول إبليس ؛ آدم عليه السلام نزل إلى الأرض ، وقد تاب إلى ربه جل جلاله ، فتاب عليه ودها ، وأنزله إلى دار الدنيا ، نبيا مكرما ، مغفورا له ، يبقى في دار الدنيا إلى أجله الذي أجله الله له .

وأما عدو الله إبليس ، فإنه لم يتبع أصلا ، ولا ندم عن ذنبه ، ولا رجع ، ولا سلك لها سبيلا ، بل عاند واستكبر ، وطغى وكفر ، وطلب من الله جل جلاله ، ألا يعجل بهلاكه وعذابه ، بل يؤخر ذلك إلى يوم الوقت المعلوم ، لا يأخذ فرصة في التوبة ، ويتمنى من الإنابة ، بل ليكمل طريق الشقاء ، ويأخذ أهل الغواية معه إلى دار البوار ؛ فنزل إماما لحزبه ، حزب الشيطان الخاسرين ، لتقى حكمة الله في خلقه ، وابتلائه لهم : هل يطيعون عدوه ؛ ولتقى الشقاوة على العدو اللعين : بعناده وفساده ، ويستحق من ربه الخسنان المبين .

والله أعلم .